والبديهة الحاضرة ، والذكاء الخارق ، مثيرا للإعجاب ، بشجاعته وجرأته ، حتى لقب باسم « جن على » ولوصوله إلى هذا اللقب قصة فريدة سترد فى السطور التالية :

كان المملوك بعد تمام تربيته ونشأته ، يرقى السلم من أسفل درجاته ، فأول الأمر يعين فى جملة أولاد الخزنة ، الذى يوكل إلى شجاعتهم ومضاء سيوفهم ، حراسة الخزانة ، وكان كل سنجق يجعل فى قصره ديوانا خاصا ومصرفا يخزن فيه أمواله وأسلحته ، فإذا جد الجد ، وقضت الضرورة أن يغامر سيده فى إحدى المغامرات أو يشتبك فى معركة دبرها من لا يسعه خذلانه ، انضم هذا المملوك إلى جانب سيده ، وحارب فى صفه ، وأبدى من ضروب الشجاعة ، وفنون الكر والفر والنزال والصوال ما يستثير إعجاب سيده ويجعله جديرا بتقديره ورضاه ، حتى إذا انتصر ، كوفئ بالسماح له بإرخاء لحيته ، والتمتع بمنصب الخازندار ، ثم يعقب ذلك ترقيته أيضا إلى منصب كاشف ، وكاشف اليوم هو سنجق الغد ، وللسنجق أن يطمع فى مستقبله ، فى زعامة زملائه ، وعن طريق ذلك يصل إلى منصب شيخ البلد .

وقد ظهرت مواهب على بك العسكرية أول ما ظهرت ، أثناء رحلة سيده إبراهيم بك إلى الحجاز ، فقد كان فتى يافعا فى رفقة زعيمه ، الذى كان يشغل فى ذلك الحين منصب كتخدا الانكشارية ورئيس الجيش الذى يحمل المحمل . ففى أثناء سير الحملة برز لها جماعة من الأعراب المسلمين بقصد النهب . وكان جيش المماليك غير مستعد للنضال ، إذ هو ذاهب لغاية دينيه وليس لغاية حربية ، فلما فوجئ بالهجوم ، كادت